

قصص مسيحية من واقع الحياة

— ١ —

المحبة تُدخلنا أمام الله

وقصص أُخرى

دار مجلة مــرقس

قصص مسيحية من واقع الحياة

— ١ —

المحبة تُدخلنا أمام الله

وقصص أخرى

قصة آبائية:

المحبة تُدخلنا أمام الله ...

□□□

حدث أن إنساناً فاضلاً علمانياً (أي يعيش في العالم) يتقي الله في حياته وفي أعماله ذهب لزيارة أبّا بيمين(١). وكان مع الشيخ (أبّا بيمين) بعضٌ من الإخوة (الرهبان) يسألونه بعض الأسئلة آملين أن يسمعوا منه كلمة تنفعهم. عندئذٍ قال أبّا بيمين لهذا الرجل العلماني: «قل كلمة للإخوة»، فاستعفى الرجل في اتضاع شديد متوسلاً بقوله. «سامحني ياأبي، فإني أتيت لأتعلم». أما الشيخ فألحَّ عليه.

فلما وجد الرجل أن الشيخ اشتد في إلحاحه، قال: «أنا إنسان أعيش في العالم وأشتغل ببيع الخضروات. ولأني لا أعرف أن أتكلم من كتاب، فاسمعوا مني أمثولة:

كان لرجل ثلاثة أصدقاء، فقال لأولهم: «إن لي رغبة في مقابلة الإمبراطور فتعالَ معي»؛ فقال له الصديق: «سآتي معك إلى منتصف الطريق». ثم قال الرجل للصديق الثاني: «تعالَ لتذهب معي لمقابلة الإمبراطور»؛ فأجابه الصديق قائلاً: «سآتي معك وإنما فقط إلى باب القصر، لأنني لا يمكنني أن آتي معك إلى الداخل»؛ وطلب الرجل من صديقه الثالث نفس الطلب فأجابه قائلاً: «سآتي معك لا إلى باب القصر فقط بل إلى الداخل، حتى آتي بك إلى حضرة الإمبراطور، وأقف أمامه معك وأتكلم عنك».

عندئذٍ سأل الإخوة (الرهبان) هذا الإنسان الفاضل مستفهمين منه عن فحوى هذه الأحجية؛ فأجابهم قائلاً:

الصديق الأول هو النسك الذي بالكاد يوصلنا إلى منتصف الطريق؛ **والصديق الثاني** هو الطهارة والقداسة التي تقودنا حتى باب السماء. أما **الصديق الثالث** فهو **المحبة الحانية** التي من شأنها أن توقف الإنسان بدالة أمام الله وتتكلم عنه بجرأة عظيمة.

(١) أحد آباء برية الإسقيط العظام في آواخر القرن الرابع، قابله روفينوس المؤرخ الرهباني عام ٣٧٠ م.

قصة واقعية تبين معنى:

الشفاعة والكفارة

□□□

هناك مثل يوضح معنى الشفاعة الكفارية، وذلك في هذه القصة التي تدور حول ما عملته إمرأة لا نعرف عنها سوى اسمها فقط، تلك المرأة كان اسمها «ناتالي». وقد رواها لي بعض الذين كانوا معاصرين وشهوداً لها.

في عام ١٩١٩ — وإبان الحرب الأهلية التي كانت مشتعلة في روسيا، وحينما كانت المدن تتساقط الواحدة إثر الأخرى في أيدي الجيش الأحمر ولمدة سنوات ثلاث، كانت هناك سيدة ومعها طفلاها الصغيران، وكان يتعقبها الشيوعيون في مدينة سقطت أخيراً في أيدي الجيش الأحمر، وذلك لأن زوجها كان يتبع المعسكر المعارض.

فلكي تنقذ حياتها وحياة طفليها، اللذين كان يبلغ أحدهما الرابعة والثاني الخامسة من العمر، اختفت في كوخ صغير مهجور على أطراف المدينة. وكانت تأمل أن تحين لها فرصة الهرب إلى مكان آخر.

وفي اليوم التالي، وعندما أقبل المساء، إذا بسيدة شابة في مثل سنها تقريباً (أي في منتصف العشرين من العمر)، واسمها ناتالي Natalie تقرع الباب. فلما فتحت — والذعر يملأ قلبها — وجدت نفسها أمام سيدة شابة تقول لها ما إذا كانت هي السيدة «فلانة»، فأجابت بالإيجاب، فقالت لها الزائرة الغريبة: «يجب أن تهربي على الفور لأن مكانك قد أصبح معروفاً، وسوف يُقبض عليكِ الليلة وتُقتلي رمياً بالرصاص على الفور» !!

فردت السيدة قائلة: «وكيف هذا؟ سوف يتعقبوننا، ولن يمكننا الذهاب بعيداً.»
أما السيدة الشابة — التي لم تكن سوى إحدى جاراتها — لكنها صارت فيما بعد

«قريبة لها في المسيح»، والتي صار الآن لها قامة ملء إنجيل الله، ردَّت عليها قائلة: «يمكنك ذلك، لأنني سأظل بعدك هنا في هذا المكان، وسأطلق على نفسي اسمك عندما يأتون للقبض عليك».

فقالت الأم: «ولكنهم سيعدمونك رمياً بالرصاص».
فأجابتها قائلة: «نعم — وأنا من أجل ذلك أتيت إلى هنا. لأن ليس عندي أطفال مثلك».

ثم أنها بقيت في الشقة بعد أن غادرتها الأخرى هي وطفلاها.

ويمكننا أن نتصور ماذا كان يحدث آنئذ. يمكننا أن نرى الليل زاحفاً بظلامه و بكآبته و برودته ورطوبته على هذا البيت الريفي الصغير المهجور. يمكننا أن نرى سيدة شابة في انتظار حكم الموت، ويمكننا كذلك أن نتذكر بستان جثسيماني.

حقاً إن مسيحية هذه المرأة أبت عليها إلا أن تُسلِّم نفسها طواعية لتعدم رمياً بالرصاص وتموت، لتحيا هذه الأم وطفلاها.

***

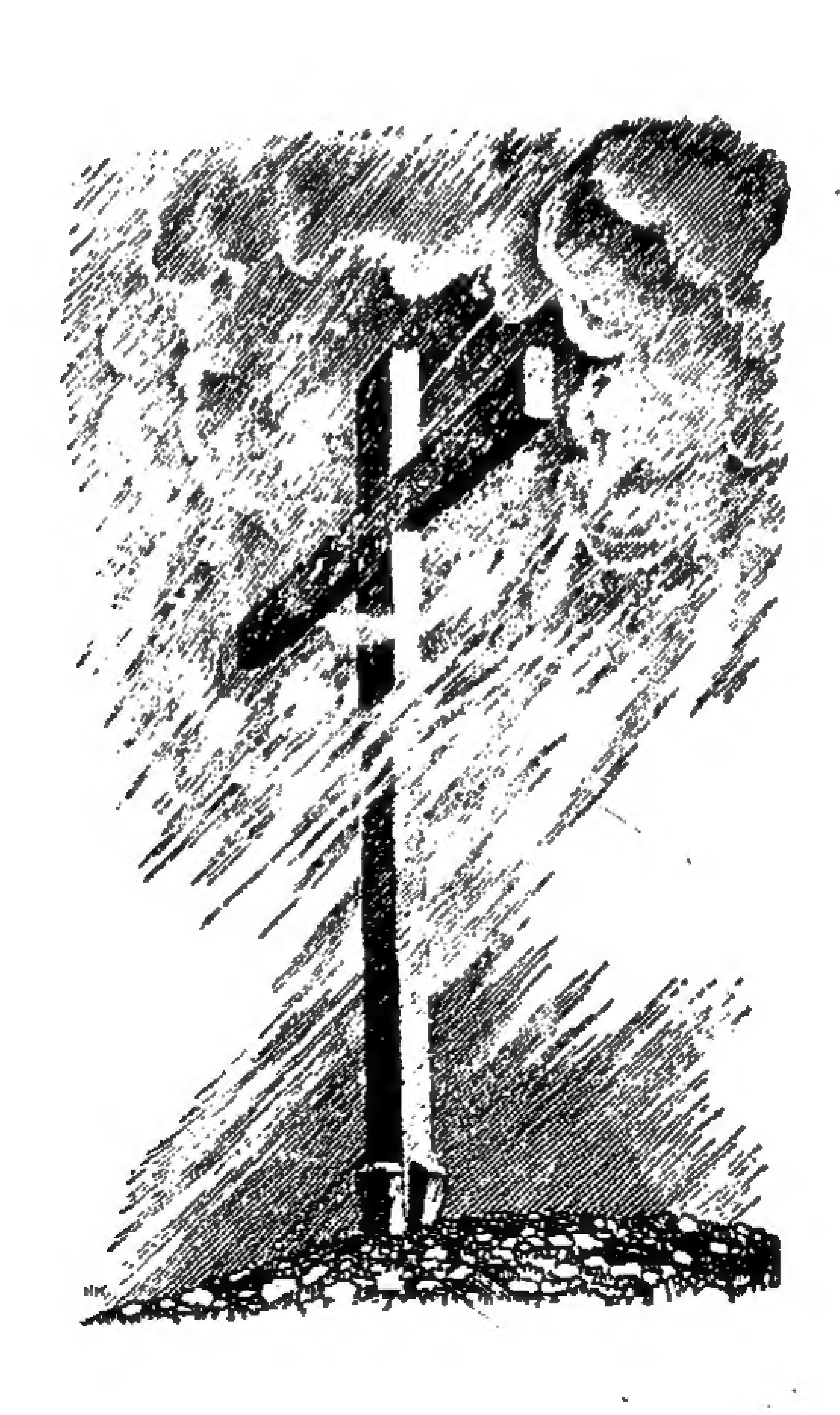
ولكننا إذا رجعنا بنظرنا إلى الإنجيل لرأينا ما حدث للنموذج الحي والمثل الأول لهذه المرأة العظيمة القديسة حقاً.

فإنه منذ ألفي عام، تقدم إنسان في مقتبل عمره منتظراً الموت... اسمه يسوع. وكان في البستان يلفه الظلام. ولم يكن من جريمة أو خطية أتاها ليُقتل من أجلها... لا ... لقد كان ينتظر أن يموت فداءً عن آخرين... لقد أتى الموت ليمسك برئيس الحياة الأبدية نفسه... وثلاث مرات رجع إلى تلاميذه ليجدهم نياماً غير واعين لما يعمله ولما هو مزمع أن يعمله... وما أكثر المسيحيين الذين إلى الآن لا يدرون قيمة ما فعله الرب يسوع المسيح

عنهم وعن العالم أجمع.

لقد وقفت ناتالي في موقف المسيح، وهو الموقف الذي لابد لنا جميعاً أن نقفه، وهو ذات المكان الذي يوجد فيه المسيح الآن، في قلب التاريخ الإنساني، حيث ألم الإنسان وموت الإنسان ومعاناة الإنسان. لكنه يقف هنا كصخرة... حيث ينادينا أن نقف مثله ومعه في قلب معاناة الإنسان ولكن بإيمان لا يتزعزع و بثقة كاملة في نصرته على الموت والخوف من الموت.

عن كتاب: *God and Man*, by Metropolitan Antony, London, 1974.



حياة من أجل حياة
صورة من التضحية العظمى والشهادة

□□□

في ١٧ من فبراير ١٩٤١ ترجل ثلاثة جنود نازيين من سيارة عسكرية أمام دير «نيبو كالاناو» ببولندا يريدون مواجهة الأب مكسيميليان كولب، فإذا بهم إزاء راهب شاحب الوجه، أضناه المرض والجهد، فاقتادوه على الفور إلى سجن بورياك. وبعد أيام استُدعي الأب كولب أمام القائد الألماني النازي الذي استبد به الغضب لدى رؤيته الثوب الرهباني. فصرخ بوجهه:

ــ أيها الكاهن...، قل لي أتؤمن بالمسيح؟

ــ نعم أؤمن!

وإذا بصفعة قوية تهوي على خده. وجاء السؤال مجدداً بتشنج:

ــ وبعد هذا هل تؤمن أيضاً؟

ــ نعم أؤمن!

فراح القائد الشرس يكيل له الضربات بيديه ورجليه ويقذفه بالشتائم والإهانات، والكاهن المسكين لا مقاومة له سوى الإصرار على إيمانه.

وفي ٣٠ من يوليو ١٩٤١ هرب أحد السجناء من الفرقة ١٤ من سجن أوشوايتز، فتذكر السجناء المنكودون التهديد القاضي بإعدام عشرين سجيناً عن كل هارب من الفرقة. واصطف المعتقلون أمام القائد ليختار، كالجزار، مَنْ يرسله إلى المحرقة... وترتفع الزفرات، ويختلط الإستنجاد بالحسرات. وإذا بأحدهم يصرخ بصوت تخنقه الغصة: «آه، زوجتي التعيسة، أولادي الأعزاء!».

وفي هذه اللحظات ترك أحد المعتقلين صفه وتقدم من القائد، فشهر هذا مسدسه

وصرخ:

ــ مكانك! ماذا تريد أيها الخنزير؟

فأجابه الأب مكسيميليان ــ وكان هو المتقدم:

ــ أن تسمح لي بأن أموت عوضاً عن أحد المحكوم عليهم!

ــ من أنت؟

ــ أنا كاهن كاثوليكي.

ــ عوض من تريد أن تموت؟

ــ عوض هذا (وأشار إلى الرجل الذي انتُخب قبل قليل).

ــ ولماذا؟

ــ لأنه رب عائلة مسكينة!

ووافق القائد، واقتيد الكاهن المتمثل بسيده المسيح مع المحكومين الآخرين إلى غرفة الموت... غرفة مظلمة تحت الأرض، يُهمَل فيها المعذبون إلى أن ينهشهم الموت رويداً رويداً، بأنياب الجوع والعطش. وأقسى عذاب يعانونه هو العطش المحرق الذي يلهب الأحشاء ويجفف الدم في العروق. وما أقسى الموت إذا أقبل ببطء!

وفي صباح اليوم الرابع عشر من أغسطس كان الأب مكسيميليان آخر من تبقى من زملائه، فقضى عليه حارس المعتقل بزرقة(١) من مادة الفينول وأُحرقت جثته! وكان عمره على الأرض آنذاك ٤٧ عاماً، لكنه منذ تلك اللحظة دخل عمره الأبدي في السماء...

إلى ساحة التكريم والمجد:

وفي يوم الأحد ١٠ أكتوبر ١٩٨٢، وفي ساحة القديس بطرس بروما، وقف البابا

(١) «الزُرقة» هي النصل أو السن، و يُقصد به هنا طعنة تحوي سُمًّا من مادة الفينول.

يوحنا بولس الثاني يعلن رسمياً قداسة مواطنه الأب مكسيميليان كولب، أمام حشد غفير يـربو على مئة ألف شخص يتقدمهم ٢٦ كاردينالاً، و٣٠٠ أسقف، من بينهم ٥٠ أسقفاً بولـنـديـاً وعـشرة آلاف مـسيحي بولندي من جملتهم **فرنسيس كايوفنيكزك نفسه الذي كـان الأب كولب قد قدم حياته عنه قبل ٤٠ عاماً، وعمره الآن ٨٢ عاماً**، و وفد رسمي يمثل الحكومة البولندية، برئاسة وزير الأديان في بولندا.

وفي الـكـلـمـة التي ألـقاها بالإيطالية والألمانية والپولندية، علّق البابا على قول السيد المـسـيـح: «لـيـس لأحـدٍ حبٌّ أعـظـم من هـذا، أن يـضـع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يـو١٥: ١٣) بـأن الأب كولب أكمل قول الفادي بحذافيره في معتقل أوشوايتز المشؤوم، حيث مات ٤ ملايين شخص بالتعذيب والإعدام.

وفي مـقـابـلـتـه الخاصة للحجاج البولنديين بهذه المناسبة قال البابا يوحنا بولس الثاني مـشيراً إلى قداسة الأب مكسيميليان: [... في أساس هذه القداسة نجد القضية الإنسانية الـكـبـرى والمؤلمة جداً. ويمكننا القول بأن الله الأزلي سيد التاريخ البشري، استخرج من قـلـب هذه القضية نفسها شهادات أبدية تبقى في تاريخ البشرية «كعلامات الأزمنة»... فالحب ظهر أقوى من الموت، وأقوى من النظام المعادي للإنسان]. واستطرد البابا الذي عرف الإعتقال النازي هو أيضاً في شبابه: [إن القديسين هم في التاريخ كمراجع دائمة تـعـود بـه إلى صميم مصير الإنسان والعالم... فحياة القديس الشهيد مكسيميليان هي نداء مـوجـه إلى الإنـسـان، إلى المجتمع، إلى البشرية، إلى الأنظمة المسؤولة عن حياة الإنسان والمجـتـمـع... وفي مجمل استشهاده يصرخ مطالباً باحترام حقوق الإنسان، وحقوق الشعوب إحتراماً كاملاً].

(عن مجلة «الفكر المسيحي»، يناير وفبراير ١٩٨٣ — العراق).





الأب مكسيميليان ضحى بحياته



ما زال حياً على الأرض

«فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت، ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥ : ٧ و٨).

(قصة واقعية)

المحبة أقوى من الموت

في الأسبوع الأخير من شهر يناير عام ١٩٨٢ هبت عاصفة ثلجية على الولايات المتحدة لم تشهدها منذ عام ١٨٠٠ حتى أنه وصلت درجة الحرارة في إحدى الولايات إلى ٣٠ تحت الصفر (مينسوتا)، و٣٣ تحت الصفر (ميامي). وقد تعاظمت أرقام الضحايا والحوادث إلى حد لم يشهده العالم من قبل.

وفي وسط هيجان الطبيعة الثائرة، التي لا تفرق بين إنسان وإنسان ولا تهب النجدة لضحاياها ولو استغاثوا آلاف المرات، إذا بنموذج فريد للإيمان المسيحي يتقدم معلناً أن الإنسان يستطيع بمقتضى نعمة «البذل حتى الموت» التي دخلت إلى عالمنا البشري بصليب ربنا يسوع المسيح، يستطيع أن يواجه قسوة الطبيعة وجمودها، فيهب الحياة حيث الموت، والرجاء حيث اليأس، بحبه و بإيمانه الفائق المقدار.

هذا حدث فعلاً في كارثة الطائرة بو ينج ٧٣٧ التي كانت تحلق في أجواء واشنطن في رابعة النهار، وفوق جسر يمر على نهر بوتوماك في قلب واشنطن، وفي ذروة ازدحام المرور. وكان ركاب الطائرة الثمانية والسبعون يجلسون كل واحد على أر يكته يقرأ صحف الصباح أو يستمع إلى تعليمات قائد الطائرة أو يحكم حزامه حول نفسه، ومن بينهم راكب مجهول الإسم حتى الآن، لم يكن يظن الذين كانوا جالسين أمامه وبجانبه وخلفه أنه بعد لحظات سيكون هو الأداة المباركة لإسترداد الحياة لهم من وسط الموت!

وإذا بركام الجليد يتكاثر على جناحي الطائرة وذيلها، وجسمها يفقد توازنه، وتبدأ تهوي من علٍ لتحطم في طر يقها ٤ سيارات كانت تمر على الجسر وسيارة نقل كبيرة، ثم



تهوي بكل ثقلها في النهر المجمد بسبب البرودة الشديدة. ويهرع الركاب محاولين النجاة ولكن هيهات، إلا ستة ركاب استطاعوا أن يتشبثوا بذيل الطائرة الذي ظل بارزاً وسط النهر المتجمدة مياهه.

وتهرع سيارات الإسعاف والشرطة، وتطير إلى مكان الحادث طائرة هليكوبتر تلقي بحبل الإنقاذ المعلق بآخره طوق للنجاة، تلقي به على أول الركاب الستة الذين أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الموت، والجليد من حولهم يضغط على أطرافهم و يلفح وجوههم بقسوة بالغة، و يسرد «وندسور» سائق الطائرة الهليكوبتر والذي ألقى بالحبل على هذا الراكب: «كان الرجل الذي ألقيت إليه الحبل يقظاً واعياً كل الوعي... ولكن إن كنا نرى أناساً طيبين في وسط هذا العالم الشرير، لكني لم أرَ قط في حياتي من له مثل هذا البذل!... لقد أزاح الرجل بالحبل إلى رفيقه الذي بجانبه والمتشبث في يأس هو الآخر بذيل الطائرة الغريقة، أزاحه إليه لكي يقتنص هذا فرصة النجاة أولاً بدلاً منه!»... وصعد الراكب الأول المنقذ من الموت إلى الهليكوبتر، وأنزل رجل الإنقاذ الحبل ثانية لنفس الراكب الذي يصارع الموت فأزاح الحبل ثانية لراكب آخر رفيقه المنتظر هو الآخر بلهفة الإنقاذ من الموت، وأُنقذ الراكب الثاني... وكلما ينزل الحبل إليه يزيحه الراكب المجهول الذي يناهز الخمسين من عمره إلى رفيقه... إلى أن أُنقذ الركاب الخمسة، وأخيراً وحينما تدلى الحبل للمرة السادسة كان الراكب الباذل قد اختفى وسط الجليد!!

واختفت أسماء الركاب الخمسة من ذاكرة التاريخ و بقي هذا الرجل المجهول الهوية، والذي لُقِّب في الصحف الأمريكية بالرجل العالمي، أولاً بسبب عدم احتسابه شيئاً لنفسه وثانياً لأن شخصيته ظلت حتى الآن مجهولة الإسم. وقيل عنه إنه بينما الطبيعة الصماء تعمل على أساس الجور والظلم لا تفرِّق بين مستحق و بريء، تعامَل هذا الإنسان في مواجهة هذه الطبيعة على أساس قانون الإيمان الحيي في المسيح يسوع الذي مات ليحيا الجميع حياتهم الأبدية.

+ «فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو٥: ٧و٨)

من روائع السلوك المسيحي
في الكنيسة الأولى

محبة تضارع الإستشهاد

انتشر وباء الطاعون في معظم أرجاء الإمبراطورية الرومانية العظمى في ما بين ٢٤٩ـ٢٦٣م. في روما نفسها يُقال أن خمسة آلاف شخص ماتوا في يوم واحد. أما في الإسكندرية، فقد كان الوباء أشد فتكاً بسكانها. ويروي لنا القديس ديونيسيوس البابا الإسكندري أن مدينته قد ضاقت بالمجاعة. ثم تلى ذلك سلسلة من الإضطرابات والعنف، حتى قيل أنه كان أكثر أماناً لأي شخص أن يسافر من أقصى العالم المعروف آنئذ إلى أدناه، من أن يسير من شارع إلى شارع آخر في مدينة الإسكندرية.

أما الكارثة العظمى فقد كانت عندما زاد على هذه الشدائد وباء الطاعون، الذي تفشَّى، حتى لم ينجُ منه ولا بيت واحد، ولم يخلُ منزل واحد من ميت ينوح عليه أهله ويبكونه. أما الأموات فقد أُهملوا دون أن يُدفنوا، حتى صار الهواء محمَّلاً بالميكروبات المختلطة بالأبخرة الموبوءة المتصاعدة من مياه نهر النيل.

وعند هذا الحد بدا التوحش على الأحياء بسبب رعبهم الشديد خوفاً من الموت، حتى بدت التصرفات اللاإنسانية تظهر على المواطنين الوثنيين، فما كانوا يسمعون عن شخص وقد لحق به المرض، إلا وأسرعوا بإلقائه خارج الديار، مهما كانت درجة قرابته لهم، حتى اكتظت الشوارع بهم، ومن على بُعد سُمع صوت أنينهم.

وهنا تجلَّت المسيحية وظهر سمو أخلاق المسيحيين، وأعطوا أروع أمثلة الحب والبذل والفداء. في أثناء هذه الأحداث، كان اضطهاد الأباطرة داكيوس وغاللوس وڤالير يان شديداً على المسيحيين، حتى أنهم هربوا من المدينة واختبأوا في السراديب، أو في مراكب في البحر أو في السجون.

ولكن أنىَّ للسراج، سراج المحبة أن يوضع تحت المكيال، فعاد المسيحيون بسرعة من أماكن اختبائهم، وهبُّوا عائدين إلى المدينة ـــ غير هيَّابين اضطهاد الأباطرة المستعمرين ـــ وقاموا بالعناية بالمرضى من إخوانهم الوثنيين، وواسوا العائلات، وعزُّوا الذين على شفا الموت، وأغمضوا عيون الأموات، وحملوهم على سواعدهم، وغسَّلوا أجسادهم، وحملوها ليدفنوها خارج المدينة، وهم يعلمون أنهم بسبب العدوى سيلاقون نفس المصير.

وهنا الكلام للقديس البابا ديونيسيوس الكبير:

[وكثيرون من الذين طبَّبوا المرضى سقطوا صرعى بنفس المرض، حتى أن مقدِّمي الإخوة في الكنيسة كانوا أول من رقدوا بسبب شهامة المحبة غير الهيَّابة للموت، وكان منهم قسيسون وشمامسة وعلمانيون من أعلى المراكز الإجتماعية.

إن هذا الموت مع الإيمان الذي صحبه إنما يبدو أقل بصورة بسيطة جداً عن مجد الإستشهاد].

أما الكنيسة الرومانية العظيمة، وقد تمسَّكت جداً بكلمات هذا البابا المصري العظيم، فقد رفعت درجة هؤلاء الذين هم صرعى المحبة إلى درجة الشهداء، حيث تعيِّد لهم في الثامن والعشرين من شهر فبراير. وتختم سنكسارها عنهم بتساؤلها للمؤمنين:

[إن هؤلاء أظهروا المحبة، بأن ضحُّوا بحياتهم لينجو أعداؤهم من المرض ومن الموت، فبماذا سنجيب أمام عرش الديان ـــ نحن الذين نقول عن أنفسنا أننا مسيحيون ـــ عن إخوتنا من المرضى والفقراء والمذَلِّين والمتألمين، الذين هم ليسوا أعداءنا بل مسيحيون مثلنا؟].

ياإخوة، هذا هو المسيح، وهذه هي المسيحية...
وهكذا تكون المحبة...!

□□□

الشهيد نكفورس
شهيد التسامح

▫▫▫

كان نكفورس من أنطاكية ومن عامة الشعب التقي البسيط. وكان صديقاً حميماً لأحد الكهنة الذي يدعى سبر يسيوس. ثم حدث فتور بين الصديقين فنزاع فانقطاع. ودام ذلك زماناً إلى أن أحس نكفورس بخطئه وقرر أن يسعى للصلح. فأرسل للكاهن بعض أصدقائه مرتين طالباً الصفح إلا أن الكاهن رفض الإعتذار. فأرسل له نكفورس للمرة الثالثة ولكن دون جدوى. وأخيراً ذهب نكفورس بنفسه إلى بيت الكاهن مقراً بخطئه وملتمساً الصفح بكل اتضاع، ولكن سبر يسيوس كان مصمماً أن يصم أذنيه عن كل اعتذار غير عالم أنه بذلك يغلق على نفسه باب مراحم الله.

وكانت الكنيسة في ذلك الوقت تتألم من الإضطهاد المريع الذي أثاره عليها الملكان جاليريوس وغايوس في أواسط القرن الثالث.

وأمسك الولاة الكاهن سبر يسيوس وخيروه بين العذابات وجحوده للمسيح فاعترف للرب بجرأة وقال لأولئك الولاة المستبدين: «إن لكم السلطان على جسدي، لأن الله هو الذي سلطكم عليه، أما روحي فهي له وليس لكم أن تمسوها». فأذاقوه أنواع العذاب وهو ثابت لا يتزعزع. أخيراً حكموا عليه بقطع رأسه، وساقوه إلى موضع تنفيذ الحكم.

فعلم نكفورس بما كان. فحزن وخاف أن يموت صديقه الكاهن قبل أن يتصالحا و يتصافيا. فلاقاه على الطريق وانطرح على قدميه مستغفراً وقال له: «يا شهيد المسيح أغفر لي ما أسأت به إليك». فازدرى سبر يسيوس باعترافه هذا وأغضى عنه ولم يجبه. ولاقاه نكفورس ثانية في عطفة من الطريق ورجا منه أن يغفر له، فلم يلتفت

سبر يسيوس إليه . وضحك الجند من رجل قليل العقل يسعى لنيل رضى إنسان لا يلبث أن يموت وأعاد نكفورس الكرة ثالثة لما أتى سبر يسيوس إلى محل الإعدام ، فلم ينل منه سوى الإهمال والإزدراء ، فغضب الرب على تلك النفس المترفعة المتصلبة وفارقت نعمة الروح القدس ذلك الكاهن الحقود . فارتعدت فرائصه هلعاً لما رأى السياف يتهيأ ليهوى عليه بالسيف ، فصاح به : «لا تفعل ، لا تفعل ، فأنا طوع أوامر القياصرة وعبد للآلهة» . ووقع هذا الكلام كالصاعقة على نكفورس الذي كان واقفاً ينتظر حتى النهاية لعله يحظى بصفح الكاهن في اللحظة الأخيرة ، فلما سمع إنكاره وجحوده لسيده إشتعل قلبه بنار الغيرة الإلهية وتقدم وهو يصرخ أمام الجميع : «أنا مسيحي وأعبد المسيح إلهنا الوحيد ، أميتوني بدل هذا الجاحد الذي كفر بإلهه» .

فحدثت ضوضاء في ساحة الإعدام ، وتوقف الجلادون وأرسلوا يعلمون الوالي بما كان . فقال لهم : «أطلقوا سبر يسيوس واقطعوا رأس نكفورس» . ففعلوا ، ونال نكفورس إكليل الشهادة جزاء تواضعه ومحبته الأخوية . أما الكاهن فلم يشفع فيه كهنوته لأنه لم يحفظ وصية الرب :

«إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .» (مت٦ : ١٤و١٥) .



(*) Acta Sanctorum, Feb., Vol. II.
Analecta Bollandiana, Vol. XVI, p. 299.

أحاديث من واقع الحياة:

المحبة هي طريق القيامة

□□□

تلقائية الإيمان:

■ كيف نبدأ حديثنا اليوم ونحن نعيّد عيد القيامة. واليوم «أحد توما»؟ هلم نرتل مديح القيامة: المسيح قام من بين الأموات، بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية.

خلال السنوات الأولى من الثورة الشيوعية كانوا ما يزالون يسمحون بعقد الإجتماعات التي تهاجم الدين.

وفي أحد هذه الإجتماعات وقد كانت ملأى بالملحدين، لم يشأ مطران الكنيسة أن يجادل و يرد على الإدعاء بأنه «لم يعد أحد اليوم يؤمن بقيامة المسيح»، بل التفت ناحية الجمع المحتشد في قاعة الإجتماع وصرخ بأعلى صوته: «المسيح قام!». وإذا بكل من في القاعة يدوّي صوته بالهتاف: «بالحقيقة قام!»

ونحن في الكنيسة الروسية عندنا قديس آسمه ساروفيم من صاروف أُعلنت قداسته قبل الثورة الشيوعية بقليل. عاش هذا القديس في القرن التاسع عشر. وكان يُحيِّي كلَّ من يأتي إليه ليزوره بهذه الكلمات: «المسيح قام! يا لفرحي!» وهكذا ملأت حرارة قيامة المسيح نفوس الناس كلهم الذين أتوا إليه.

الآلام هي برهان القيامة:

■ اليوم «أحد توما». والرسول توما لم يَعُد رمزاً للشك، بل للإيمان. فإن كلماته التي قالها للتلاميذ المجتمعين في الأحد التالي لأحد القيامة: «إن لم أُبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه، لا أومن» (لو٢٠: ٢٥)؛ لم تعُد كلمات عدم الإيمان، بل بالحري كلمات الإيمان. فإن جروح المسيح صارت عند

توما الرسول هي برهان القيامة. وبكلمات أخرى، فإنك لا يمكن أن تفهم جوهر قيامة المسيح بالبراهين والأدلة وحدها، بل فقط بالشركة في جروح المسيح، أي في آلامه. إن توما حينما طلب أن يضع إصبعه في جروح المسيح، فقد كان يريد أن يقبل قيامة المسيح بمنتهى الحرية.

إن آلام المسيح ليست هي آلام أي إنسان آخر. فالمسيح هو إلهنا الذي تجسد. لقد صار إنساناً. لقد صار في كل إنسان. كل متألم وجائع وعطشان ومريض ومحبوس فإن المسيح هو فيه (مت ٢٥: ٣١—٤٦).

فأيُّ من لم يَذُقِ الآلام، فليس له الحق أن يتكلم عن القيامة، إن التألم، واختبار الضيق، ولو من أجل قريبك — فهذا هو طريق الإيمان الحر بقيامة المسيح.

ينبغي أن نقول: «المسيح قام» لكل متألم ومتضايق من أجل الإيمان. لأن المسيح مع كل من يتألم. المسيح تألم من أجل الكل — الأبرار وغير الأبرار — لكي يقيم الكل. وكل من يعرف حقيقة قيامة المسيح ويخفيها عن الآخرين، فماذا أقول؟ إنه مجرم في حق الإيمان. نور قيامة المسيح يجب أن ينير على الكل.

يُحكي عن قديس ترك الصحراء وسار في شوارع المدينة يرشم علامة الصليب ليشجع كل الخائرين أيام الإضطهاد.

المحبة هي طريق القيامة:

■ إن الناس الذين لا يعرفون المسيح، يحاولون أن ينتقموا لأنفسهم ممن يضطهدهم. يمكنك أن تنتقم في حالة واحدة فقط، إذا كنت تعتبر أن متاع الأرض هو كل شيء. أما الذين يحولون كل شيء هنا إلى العالم الآخر فهؤلاء لا انتقام عندهم ولا مقاومة. المسيحي لا يقاوم. إنه يحب أعداءه. إنه يرجوهم أن يستنيروا، وأن يدركوا ما هم فاعلون، وأنه مؤذٍ لهم.

أتذكر من تاريخ حياتي في معسكرات الإعتقال في أول الثورة الشيوعية شاباً يبلغ

من العمر ١٦ أو ١٧ عاماً. لم يكن على قدر كبير من التعليم ــ ربما جاز المرحلة الإعدادية فقط ــ ولكن ما أعظم الإيمان الذي كان له!

لقد وُضع في زنزانة للتأديب، كانت باردة إلى درجة كبيرة، ثم كانوا يغرقونه بالماء المثلج. فهل أظهر أي مرارة؟ لا ... بل كان يصلي من أجل أعدائه. كانوا يسمونه «كوليا أنوفر ييف» على ما أتذكر.

وكان له صديق آسمه «كوليا دنيسوف». كان أكبر منه سناً، وغالباً كان أُمياً، لم يتعدَّ تعليمه السنة الثالثة الإبتدائية. كان يعمل في المشروعات العامة في الأعمال الجسدية، والمجهودات الشاقة. لكن وجهه كان يحمل دائماً إبتسامة ذات طابع معين. لقد كان مثيراً أن ذوي الدراسات العليا ممن كانوا في المعسكر وجدوا أنفسهم يفقدون كل هدوئهم ورزانتهم: يلعنون و يغشون و يعادون بعضهم بعضاً. أما هذان الشابان فقد كانا مثالاً في كل شيء.

هذا هو ما تقدمه المسيحية. والمسيحية قبل كل شيء «محبة». والمحبة تشفي في كل موقف. ما هو سبب بلايانا اليوم؟ إنه نقص المحبة. ولكن ماذا لو صُلبت المحبة؟ إن هذا يعني أن مثل هذه المحبة سوف تقيم الموتى. القيامة تأتى فقط من خلال المحبة!!

الإيمان هو برهان القيامة:

■ سُئل الأب ديمتري: ما هي براهين القيامة؟

فأجاب: التماس البراهين هو ثمرة ضعفنا، لا قوتنا. سامحني، أنا لا أريد أن أعرف أية براهين، بل ولا أوصي بأن تبحث لك عن براهين. البرهان الأساسي هو إيماننا. فإن لم يكن لدينا إيمان، فلن يسعفنا أي برهان.

ولكن حقيقة «قيامة المسيح» قد قُدِّمت لنا في أوثق المصادر وأصدقها، ألا وهو «الإنجيل المقدس».

سألت شباباً أتوا إليَّ يريدون الإنضمام للكنيسة: «هل تفهمون أنه لا بد أن تؤمنوا بأن المسيح قام من بين الأموات، وأننا نحن أيضاً سنقوم معه، وأن هناك حياة بعد

القبر ــ تلك الأمور التي لا يؤمن بها كثير من الناس في مجتمعنا (أي في المجتمع الشيوعي)» ؟

فأجابوني: «نحن لا نشك في أيٍّ من هذه على الإطلاق. إن كل هذا يمكننا أن نؤمن به. وإلا فلن يكون للحياة أي معنى على الإطلاق.»

بساطة الإيمان (نماذج من الطفولة):

■ وعن بساطة الإيمان سرد هذه الملاحظات الصغيرة عن كيف يمارس الأطفال إيمانهم التلقائي بالله وأمور الإيمان.

ــ طفلة تبلغ من العمر ٣ سنوات قالت لأمها: «ماما، هل حقاً لكل شيء جذر؟ فهل جذر الإنسان هو روحه؟»

ــ طفل عمره ٧ سنوات قال: «في مدرستنا كانت المدرِّسة تحاول أن تثبت أنه لا يوجد الله، لأن رائد الفضاء الأول لم يره هناك، كما قالت. فقام طفل يردُّ عليها قائلاً: لا بل إنه لم يصعد عالياً كما ينبغي، لذلك لم يجده» !

ــ طفل عمره ٧ سنوات دخل المدرسة وكانت المدرِّسة تسأل: «هل رأيت الله؟» فأجابها الطفل: «الله لا يُرى، لذلك فأنتِ لن ترينه...»

ــ قال طفل لأبيه: «بابا، كيف يحدث أن لا يكون صليب على هذه الكنيسة؟» فرد عليه أبوه: «لقد نزعه الأشراريا آبني». فأخذ الصبي قطعة من الطباشير ورسم صليباً كبيراً على حائط الكنيسة.

ــ وقف رجلان يتجادلان في موضوعات إلحادية. وبعد مدة التفتا حولهما فرأيا بالقرب منهما طفلاً صغيراً يبني كنيسة من الجليد الذي يغطي الأرض ...

فلننصت إلى هذه الأصوات الصغيرة ونتأملها. فهي تحوي الحكمة التلقائية وبرهان الذكاء، وعبث مجادلات الكبار. حقاً، إنه من فم الأطفال تخرج الحكمة. إن الغريزة الروحية الطاهرة تجذب الأطفال إلى الله. وكثيراً ما يفضحون أعمالنا العادمة الروح عن هذا الطريق! □

قصة آبائية:

النفس المتحدة بالله...
كيف تنظر إلى الناس جميعاً!

□□□

يوماً ما أتى سائح لزيارتنا، وكان يشتكي من اليهود بمرارة و يلعنهم، فقد كان ماراً داخل قراهم، وكان لابد من أن يتعرض لإعتداءاتهم ومكرهم. وهكذا كان شديد المرارة من جهتهم. حتى أنه كان يصبُّ عليهم اللعنات، بل وكان يقول أيضاً إنهم غير مستحقين للحياة بسبب عنادهم وجحودهم.

وأخيراً صرّح بأنه يكنُّ لهم الكراهية إلى الحد الذي لا يستطيع معه أن يتحكّم في نفسه.

فقال له الشيخ (الذي كنتُ بصحبته في الفندق لأخدمه حتى عوفي من مرضه):
ــ ليس لك الحق يا صديقي أن تلعن وتسبَّ قوماً أياً كانوا هكذا، لأن الله قد أوجدهم كما أوجدنا نحن. لذا يليق بك أن تكنَّ لهم الإحترام، بل وتصلّي من أجلهم، بدلاً من أن تلعنهم.

صدقني أن الإشمئزاز الذي تحمله لهم في نفسك يأتي من حقيقة أنك في الواقع لست متأصلاً في محبة الله، وأنك لست تقتني بعد الصلاة الباطنية. وها أنا أقرأ لك فصلاً للآباء القديسين في هذا الشأن:

اسمع ما يكتبه القديس مرقس الناسك:
[النفس المتحدة بالله داخلياً، بمقدار ما يعظم فرحها، بمقدار ما تصير كطفل بسيط وطيب، لا تدين إنساناً ما، يونانياً كان أو وثنيا، صالحاً أو طالحاً، ولكنها

تـنـظـر إليهم جميعاً نظرة طاهرة. وتجد فرحها في كل مكان من العالم أجمع، وتود لو أن الناس جميعاً يمجدون الله، سواء كانوا يونانيين أو يهوداً أو وثنيين].

وكذلك القديس مقاريوس الكبير يقول:
[إن الإنسان المحب للتأمل يلتهب قلبه بحب عظيم المقدار، حتى أنه يود لو أنه يجعل من نفسه مكاناً يتسع لجميع الناس، دون أن يفرِّق بين أشرار وصالحين].

هـذا مـا كـان يـا أخي العزيز يشغل ذهن الآباء. فأنا أوصيك إذن، أن تطرح عنك جـانـباً فورة الغضب، وأن تعتبر أن كل الأشياء هي على مرأى من العناية الإلهية، العالمة بـكل شيء. وعندما تعاني من أمر ما يكدرك، فَلُمْ نفسك أنت على عدم احتمالها ونقص اتضاعك.

عن مجموعة: Spiritualité Orientale

قصص مسيحية من واقع الحياة

تصدر منفصلة في كتيبات صغيرة، سبق نشرها في مجلة مرقس لمؤلفين متنوعين:

١ ـ المحبة تُدخلنا أمام الله.
٢ ـ قصص عن الإيمان والمعجزات.
٣ ـ إيمان الطفولة العجيب.
٤ ـ إني مستعد أن أموت ثانية.
٥ ـ كيف عُدت إلى الله؟
٦ ـ قارع الناقوس.
٧ ـ تعالَ أيها الطفل يسوع.
٨ ـ والدة الإله تأتي لاستقبال مريض ...
٩ ـ ليلة عيد ميلاد في أوكرانيا.
١٠ ـ الليلة العظيمة.
١١ ـ جمعة آلام وعيد قيامة.
١٢ ـ ضيف ليلة عيد الميلاد.
١٣ ـ قدّاس في غرفة الإعدام.
١٤ ـ صغير ولكنه جميل.
١٥ ـ آلام الكنيسة ... طريق انتصارها.
١٦ ـ مغتصبو الملكوت.
١٧ ـ مولودون من جديد.
١٨ ـ المصالحة مع الله.
١٩ ـ شهود وشهداء.
٢٠ ـ اعترافات سجين تائب، والأب أنسطاسي.
٢١ ـ فنانون للمسيح: مسرحية تتحوّل إلى حقيقة،
الموسيقار الباحث عن الحق.
٢٢ ـ فرح القيامة في أشد الضيقات، والأب كالسيو.
٢٣ ـ طبيب شاب صار شهيداً.



يطلب من :
دار مجلة مرقس
٥٠ «ا» شارع شبرا ــ القاهرة ـ ت ٠٦١٤/...
الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء ـ المنشية ـ ت ٠١١٠...
وجميع المكتبات المسيحية

 ــ مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٠٨٦ / ٨٦ ــ الترقيم الدولي ٢-٠٣٩-٤٤٨-٩٧٧
الطبعة الثانية ــ ٢٠٠٠
الثمن ٣٥ قرشاً